



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (12)

التاريخ: الأحد 09/محرم/1441 هـ

08/أيلول/2019 م

الدرس الثاني عشر من شرح السنة للبرهاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد

قال المؤلف رحمه الله: ([39] **واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام، وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريتهم وذبايحهم والصلاة عليهم، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان؛ حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصّر في شيء من ذلك؛ كان ناقص الإيمان، حتى يتوب، واعلم أن الإيمان إلى الله تعالى: تام الإيمان أو ناقص الإيمان؛ إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام).**

قوله: (**واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام**)

يعني أن الدنيا دار عمل وطاعة ظاهرة وباطنة.

قال: (**وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون**)

فهذه الدار دار عمل، والدار الآخرة دار جزاء، وأمة محمد ﷺ: كل من تشهد الشهادتين، ودخل في الإسلام؛ فهو مؤمن مسلم في ظاهر حاله، ويعامل معاملة المسلمين في ظاهر الحال، وحكمه حكم المسلمين في كل ما يختص به المسلم؛ كالزواج مثلاً؛ فلا يزوج إن لم يكن مسلماً بمسلمة؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**﴾⁽¹⁾،

وكذلك في الموارث؛ لقول النبي ﷺ: "لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم"⁽²⁾،

وكذلك في الذبائح؛ تؤكل ذبيحة المسلم ولا تؤكل ذبيحة الكافر إلا أهل الكتاب،

والصلاة عليه كذلك؛ فيصل على المسلم؛ لا غير، فهم في حكم الدنيا: مسلمون، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأظهر الإسلام؛ فهو مسلم في ظاهر الحال.

قال: (**ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان**) ماذا يريد بحقيقة الإيمان؟

يريد به هنا: كمال الإيمان، لا أصل الإيمان، فلا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان - يعني كماله - حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإذا جاء بشرائع الإسلام كاملة؛ نقول هذا مؤمن كامل

1 - [البقرة: 221]

2 - أخرجه البخاري (6764)، ومسلم (1614) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

الإيمان، فإن ارتكب مخالفة يفسق بها؛ فنقول هو مؤمن ناقص الإيمان، وإذا ارتكب مكفراً يخرجه عن الإسلام؛ فنقول هذا كافر؛ هكذا هو التفصيل في المسألة؛ وسيأتي زيادة بيان من المؤلف.

قال: **(فإن قصّر في شيء من ذلك)**

يعني: من شرائع الإسلام؛ كمن ترك الصيام مثلاً أو ترك الزكاة أو ما شابه، يُنقصُ إيمانه- فإن قصّر في شيء من ذلك-؛

(كان ناقص الإيمان حتى يتوب إلى الله سبحانه وتعالى)؛

فيرجع إلى تمام الإيمان.

قال: **(واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى؛ تام الإيمان أو ناقص الإيمان؛ إلا ما أظهر لك من**

تضييع شرائع الإسلام)

يعني: نحكم على الناس بظاهر حالهم، ولا علاقة لنا ببواطن الأمور؛ بواطن الأمور وحقائقها عند الله؛ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلمها، وهو الذي يحاسب الناس عليها، نحن نحكم على الناس بما أظهروا لنا؛ لأن النبي ﷺ كان يعامل المنافقين على هذا، وكان يعامل الناس على هذا، فمن أظهر الإسلام؛ أُعطي أحكام الإسلام، ومن أظهر الكفر؛ أُعطي أحكام الكفر، ومن نافق نعامله على ما يظهر لنا ثم بعد ذلك أمره إلى الله سبحانه وتعالى؛ على هذا ديننا وشرعنا؛ نُعامل الناس على ما أظهروا لنا، وأمور الباطن إلى الله سبحانه وتعالى؛ لذلك قال:

(واعلم أن إيمانه)

يعني: الحقيقي؛ حقيقة ما يبطن إلى الله سبحانه وتعالى؛ سواء كان هذا الإيمان:

(تام الإيمان أو ناقص الإيمان؛ إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام)؛

عندئذ تحكم عليه على ما حسب ما ضيّع؛ من نقصان الدين.

ثم قال المؤلف: **([40] والصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ؛ وَالْمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالسَّكَرَانُ، وَغَيْرُهُمْ؛ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ)**



يعني أننا نصلي على كل مسلم مات، بما أنه مسلم، هذا هو الضابط في الصلاة على الناس: إذا كان مسلماً ومات في ظاهر حاله على الإسلام؛ فهذا يُصلى عليه؛ لأنه من أهل القبلة، ومن ذلك: المرجوم، وهذه سنة النبي ﷺ، والذي كان عليه الصحابة، والأحاديث في هذا كثيرة: أن النبي ﷺ كان يصلي على الموتى من المسلمين سواء كانوا مرتكبين للمعاصي أو لا؛ من ذلك المرجوم الذي رُجم بالزنى، فقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه صلى على الغامدية التي رجمت بالزنى⁽¹⁾، فالزاني والزانية يصلى عليهما،

وكذلك الذي يقتل نفسه وإن ورد حديث أن النبي ﷺ قد امتنع من الصلاة على قاتل نفسه⁽²⁾؛ إلا أن هذا لا يدلُّ على أنه لا يُصلى عليه مطلقاً؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه ترك الصلاة على أقوام؛ منهم هذا الذي قتل نفسه، ومنهم الذي غلَّ من أموال الفيء⁽³⁾، وكذلك الذي كان عليه دين؛ امتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه؛ وقال: "صلوا على صاحبكم"⁽⁴⁾، وكذلك الذي قتل نفسه؛ امتنع من الصلاة عليه، ولم يمنع الصحابة من الصلاة عليه. إذاً الصلاة عليه مشروعة في أصلها ولا بد؛ لأن الصلاة على المسلم واجبة وجوباً كفائياً؛ إذا قام به البعض سقط عن الباقي،

لكن يجوز لأهل الفضل ولأهل الخير بين الناس، الذين عرفوا بالعلم والفضل أن يتركوا الصلاة على أمثال هؤلاء؛ ردعاً وزجراً لغيرهم؛ على أن يفعلوا كما كان النبي ﷺ يفعل؛ هذه الغاية- والله أعلم- التي كان النبي ﷺ يترك الصلاة على بعض الأشخاص لأجلها، فلا يقال: تُترك الصلاة عليهم مطلقاً؛ لأن الصحابة كانوا يصلون عليهم حتى وإن امتنع النبي ﷺ من الصلاة، لكن تترك بالنسبة لأهل الفضل وأهل الخير الذين لهم في نفوس الناس مكانة؛ مثل هؤلاء يتركون الصلاة على أمثال هؤلاء ليكون رادعاً وزاجراً لغيرهم، كما كان النبي ﷺ يفعل، لكن من كان من أهل القبلة؛ فلا بد من الصلاة عليه؛ سواء كان من الزناة، أو من الذين يقتلون أنفسهم، أو من السكارى وغيرهم؛ الصلاة عليهم سنة؛ أي: سنة النبي ﷺ؛ هديه وطريقته.

1 - أخرجه مسلم (1659) أن بريدة رضي الله عنه.

2 - أخرج مسلم في "صحيحه" (978) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَسَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ"

3 - أخرج مسلم في "صحيحه" (2710) عن زيد بن خالد الجهني: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تُوْفِيَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ». فَتَغَيَّرَتْ وَجْهُ النَّاسِ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». فَتَشْتَتَا مَتَاعُهُ فَوَجَدْنَا حَرَزًا مِنْ حَرَزِ يَهُودَ لَا يُسَاوِي دَرْهَمَيْنِ)

4 - أخرجه البخاري (2289) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.



قال المؤلف رحمه الله: ([41] ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام؛ حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل، أو يرد شيئاً من آثار رسول الله ﷺ، أو يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله، وإذا فعل شيئاً من ذلك؛ فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، فإن لم يفعل شيئاً من ذلك؛ فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة).

قال: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله)، فمن ثبت له الإسلام بالنطق بالشهادتين، والإتيان بالإسلام الظاهر؛ كالصلاة وغيرها؛ يحكم له بالإسلام، ولا يجوز بعد ذلك إخراجَه عن الإسلام إلا بدليل صحيح من الكتاب أو من السنة، وبعد أن تتحقق فيه الشروط وتنتفي الموانع، فمن ثبت أنه مسلم فلا يجوز لك تكفيره حتى:

تثبت أولاً أن الفعل أو القول الذي صدر منه كفر بالكتاب أو السنة أو الإجماع؛ وكفر مخرج من الملة؛ لأن الكفر كفران، فإذا أثبت أنه كفر مخرج من الملة بكتاب الله أو بسنة رسول الله ﷺ، أو بالإجماع؛ عندئذ يجب أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع؛ حتى تُنزل الحكم على المعين؛ ففرق بين أن تطلق الحكم إطلاقاً عاماً، وبين أن تُنزلَه على الشخص المعين، يعني مثلاً: عندما تقول الشخص الذي يقول: اللهم أنت عبيدي وأنا ربك؛ هذا كافر؛ هذا إطلاق للحكم بشكل عام؛ تقول: من قال هذا الكلام كفر، لكن عندما تريد أن تنزله على الشخص المعين؛ لابد أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي الموانع؛ لأن لتنزيل الأحكام على المعينين شروطاً ولها موانع، سواء كانت هذه الأحكام تكفيراً أو تفسيقاً أو تبديعاً، لابد أن تتحقق؛ حتى تنزل هذا الحكم على الشخص المعين، وقد ذكرنا في الدرس الثاني الشروط والموانع التي يجب أن تتحقق، فإذا تحققت؛ فعند ذلك ينزل الحكم على الشخص المعين، إذاً الأصل عندنا: أن لا نكفره حتى تثبت هذه الأمور.

وهذا كله الذي يذكره المؤلف هنا يريد من ورائه أن يضع حداً لمنهج الخوارج ومنهج المرجئة، كل هذه تفصيلات لردِّ منهج الخوارج ومنهج المرجئة، فالأمر كما قال موسى بن أبي عائشة- رحمه الله وهو أحد أئمة السلف-؛ قال: (ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، فإما إلى



غلو وإما إلى تقصير⁽¹⁾؛ هذا الحال في كل أمور الشرع والدين، ومسائل التكفير فيها أناس أصحاب غلو ومجاوزه حد؛ وهم الخوارج، وفيها أناس أصحاب تقصير وتفريط؛ وهم المرجئة، وأهل السنة هم الوسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ فلا تكفير مطلقاً، ولا عدم تكفير مطلقاً أيضاً؛ أحكام الله سبحانه وتعالى التي وردت في الكتاب والسنة هي التي نتقيد بها.

قال: **(ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام؛ حتى يردّ آية من كتاب الله عز وجل)؛**

هذا سبب من أسباب الردة، وأسباب الردة كثيرة، كلها تثبت بقال الله قال رسول الله ﷺ أو إجماع العلماء على أن قول من الأقوال ردة، وما تكاد تجد كتاباً من كتب الفقه- خاصة الكبيرة منها-؛ إلا وتجد فيها كتاب الردة، ويذكرون هناك أسباب الردة، وأكثر من اعتنى بمسائل الردة: هم الأحناف؛ فتجد في كتب الأحناف إطالةً وتوسّعاً أكثر من غيرهم.

إذن السبب الأول من أسباب الردة: هو رد آية من كتاب الله تبارك وتعالى؛ التكذيب بآية من كتاب الله؛ هذه ردة، وهذا محل إجماع: تكذيب ما في كتاب الله تبارك وتعالى، وقد قال عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه: **(من كفر بحرف من القرآن؛ فقد كفر به أجمع)**⁽²⁾، ونقلوا على ذلك إجماع العلماء لا خلاف بينهم: أن من ردّ حرفاً متفقاً عليه من القرآن، وقال ليس من القرآن؛ فهو كافر.

قال: **(أو يردّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ)؛**

حديثاً نبوياً ثابتاً قطعياً؛ فيكذب به؛ هذا يعدّ أيضاً من الردة.

قال: **(أو يصلي لغير الله)؛**

فهو هنا صرف عبادة من العبادات لغير الله، قال الله تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه

وبالدين إحساناً﴾⁽³⁾،

وقال: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾⁽⁴⁾، فصرف عبادة من العبادات لغير الله شرك.

1 - ذكره ابن القيم في الصلاة وأحكام تاركها (ص 159)

2 - أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (15946)

3 - [الإسراء: 23]

4 - [النساء: 36]



قال: (أويذبح لغير الله)؛ لأن الذبح عبادة، كما قال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله من ذبح لغير الله" (1)، وقال تعالى: ﴿إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2).

قال: (وإذا فعل شيئاً من ذلك؛ فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام)، وجوباً؛ فتنزّل أحكام الله على الأشخاص واجب؛ لأن الكافر له أحكام في معاملتك له وفي تعاملهم مع أهل الإسلام، والفاسق له أحكامه، والمؤمن الصالح له أحكامه؛ كل شخص له أحكامه؛ فلا بد من إعطاء كل شخص وصفه الذي يناسبه بدلالة الكتاب والسنة.

قال: (وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام)؛ بشرط: أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي الموانع.

قال: (فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة)، يعني فيما يظهر لنا هو مؤمن مسلم، وأما الحقيقة؛ فعلمها عند الله تبارك وتعالى.

وهذا الذي ذكره المؤلف أمثلة من أسباب الردة؛ وليست كلها؛ فأسباب الردة كثيرة كما ذكرنا، ومن أراد أن يطلع عليها؛ فراجع كتب الردة في الكتب الفقهية، كـ "المغني" لابن قدامة.

إذاً هذا هو المنهج العدل والوسط ما بين منهج الخوارج ومنهج المرجئة، فلا غلو في تكفير الناس، ولا تفريط في ذلك؛ بحيث نُعطِل أحكام الله سبحانه وتعالى ونخلط ما بين الكافر والمؤمن. والذي ينزل هذه الأحكام على المعينين هم العلماء لأنهم هم الذين يعلمون ما تقدم كله، وأما الجاهل فلا يجوز له الدخول في هذا الأمر العظيم الذي تترتب عليه أحكام عظيمة يتعلق بها الولاء والبراء والدماء والأعراض.

قال المؤلف رحمه الله: ([42] وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْآثَارِ شَيْئاً مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نَحْوُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ"، وَقَوْلِهِ: "إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"، وَيَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَيَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَا يَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ جَل ثناؤه، وقول الله تعالى

1 - أخرجه مسلم (1978) عن علي رضي الله عنه.

2 - [الأنعام: 162]

للعبد: "إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرَوَلْتُ إِلَيْكَ"، وقوله: "خلق الله آدمَ على صُورَتِهِ"، وقول رسول الله ﷺ: "رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ"؛ وأشباه هذه الأحاديث؛ فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ والتَّصَدِيقِ والتَّفْوِيزِ والرِّضَى، وَلَا تُفَسِّرْ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئاً مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ، وَرَدَّهُ؛ فَهُوَ جَهَنَّمِيُّ).

هذه الفقرة لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والمقصود بالأسماء والصفات: أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، فعقيدة أهل السنة في ذلك: أنهم يثبتون ما أثبت الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ ولا يحرفون شيئاً من ذلك، ولا يعطلون ولا يشبهون الله سبحانه وتعالى بخلقه.

ويريد المؤلف هنا أن يلزم بالإيمان بمثل هذه الصفات؛ فواجب عليك أن تؤمن بها، وأن تصدق بها، وأن لا تكون معطلاً ولا ممثلاً، وقد ذكرنا فيما تقدم في كل مسألة من المسائل أنك تجد غلاة، وتجد مفرطين؛ والغلاة في هذا الباب هم المعطلة، والمقصرون المفرطون هم الممثلة. أما المعطلة فغلوا في التنزيه؛ حتى نفوا عن الله سبحانه وتعالى الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه، فعطلوا صفات الله سبحانه وتعالى؛ فالله يصف نفسه بصفة، وهم يقولون: لا ليست هذه الصفة له؛ هؤلاء هم المعطلة، يزعمون أنهم ينزهون الله سبحانه وتعالى عن النقائص، فإذا قال الله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁽¹⁾؛ قالوا: ليس له يدان، فهو يخبر عن نفسه أن له يدين، وهم يقولون ليس له يدان.

لماذا؟

لأنهم شبهوا يد الله سبحانه وتعالى بيد المخلوق؛ فإن أصل كل معطل أنه مشبه، ما الذي أوصله إلى التعطيل؟ أوصله أنه شبه؛ فجعل يد الله سبحانه وتعالى كأيدي خلقه، وأدرك حرمة هذا وعظمه وأن فيه وصف الله سبحانه وتعالى بالنقص؛ فأراد أن يفر منه؛ فلجأ إلى التعطيل؛ فعطل؛ فوقع في المحذور الثاني.

انظر! حين يريد أن يهرب؛ فإنه يهرب إلى الطرف الثاني مباشرة؛ هذه هي طريقته؛ لذلك تجد العلماء يقولون: كل معطل أصله مشبه، وقع في التشبيه، فأراد أن يفر منه؛ ففرَّ إلى التعطيل؛



هذه حقيقتهم؛ تجدهم في كل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى - أو أكثرها - ينفونها، لا يثبتونها، مع أن أخبار صفات الله سبحانه وتعالى كثيرة ومتواترة في الكتاب والسنة، وما تجد في خبر واحد أن الله سبحانه وتعالى قال هذه الصفات لا أريد ظاهرها، وليست لي حقيقة؛ ما تجد هذا أبداً، ولو أن هذا مراد الله؛ لبيّن لنا ذلك، لكنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾⁽¹⁾؛ نفي وإثبات؛ هكذا يكون التنزيه: لا إفراط ولا تفريط، اعتدال، توسط؛ فلا تعطل كتعطيل المعطل، ولا تشبه كتشبيه المشبه، وكن معتدلاً كاعتدال أهل السنة.

وقد عرفنا التعطيل؛ وهو أن يقول الله سبحانه وتعالى: له يد، وأنت تقول ليس له يد. وأما التشبيه؛ فتقول: له يد كيدٍ، له يد كيد فلان؛ هذا تشبيه، وهو محرم أيضاً، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾؛ إذاً لا يجوز أن تمثل صفات الله بصفات المخلوقين، ويقول: ﴿وهو السميع البصير﴾؛ إذاً لا يجوز لك أن تعطل صفة السمع وصفة البصر له؛ وقد أثبتنا لنفسه؛ إنما تقول: له سمع وله بصر يليق بجلاله وعظمته، ونحن لنا سمع وبصر يليق بنقصنا؛ وبهذا تكون قد حققت معنى الآية كاملة، ولم تأخذ طرفاً من الآية وتترك الطرف الآخر؛ هكذا تكون مؤمناً ومُسَلِّماً لما أراد الله سبحانه وتعالى من معان. هذا المعنى الذي أراده المؤلف من قوله: "قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"⁽²⁾؛ نثبت لله الأصابع، ولا يلزم من كون القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن: المماسّة كما يدعون؛ لا؛ فإنك تجد القمر مثلاً ما بين السماء والأرض؛ وليس مماساً لها؛ والله المثل الأعلى؛ فنقول: لله أصابع حقيقية تليق بجلاله وعظمته، هل هي كأصابعنا؟ لا؛ نعوذ بالله، ننزه الله سبحانه وتعالى عن هذا، أصابعنا أصابع مخلوقين، وأصابع الله سبحانه وتعالى أصابع رب العالمين، فرق بين هذا وهذا، كما تقول: الله موجود، ونحن موجودون، هل وجود الله كوجودنا؟ لا؛ فرق.

الله له ذات ونحن لنا ذوات؛ هل ذات الله كذاتنا؟ لا.

¹ - [الشورى: 11]

² - أخرجه أحمد (12107)، والترمذي (2140) عن أنس رضي الله عنه.



فكما تقول في هذا: قل في البقية على نفس الوتيرة

قال: **(فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى)**

تسلم بما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، وتصديق بكل ما فيها من معان.

(والتفويض) تفويض الكيف؛ هذا المقصود هنا؛ تصديق بالمعنى وتفويض الكيف؛ فالله له

سمع وله بصر، تؤمن بهذا المعنى، لكن على ما ذكرنا من غير تشبيهه، وتفويض الكيفية؛ فلا

تقول: كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ لا؛ لا على علاقة لك بهذا؛ الله أعلم،

والقاعدة التي ذكرها لنا الإمام مالك بن أنس: **(الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه**

بدعة)، هذه قاعدة قعدها لنا الإمام مالك رحمه الله؛

فالاستواء معلوم: أي المعنى، الاستواء معلوم لا يجهله أحد يفهم اللغة العربية، معناه العلو،

والكيف مجهول لا نعلمه، الله أعلم؛ لأن الله سبحانه الذي أخبر عن نفسه ونحن لا ندرك

صفات الله إلا بما أخبرنا الذي أخبر عن نفسه؛ فنحن لا نرى الشيء الغائب عنا؛ فكيف

ندركه؛ إما أن نراه، أو أن يوصف لنا، فلم نر الله، ووصف لنا نفسه بهذا؛ إذاً نؤمن بما وصف

لنا نفسه به، ولا نغير ولا نبدل.

هل ذكر لنا الكيفية؟

لا لم يذكر؛ فنسكت عنها؛ هذه طريقتنا في التعامل مع الأمور الغيبية، ما سكت الله عنه؛

نسكت عنه، وما ذكره لنا؛ نؤمن به ونصدق.

وهناك فرق بين تفويض الكيف وتفويض المعنى؛ فانتبه، عندما تقول:

- أفوض المعنى: يعني أنك لا تثبت ما أثبت الله لنفسه،

تقول الاستواء؛ لا أدري ما هو الاستواء، أفوض معناه إلى الله تعالى؛ هذا هو تفويض المعنى،

وهذا باطل؛ هو تجريد للألفاظ من معانيها، تسمع: ﴿بل يدها مبسوطتان﴾؛ تقول: ما أدري

معنى اليدين.

كيف لا تعرف معنى اليدين؟! معنى اليدين معروف في اللغة العربية.

يحب الله ويرضى الله سبحانه وتعالى، ألا تعرف معنى يحب الله ويرضى الله سبحانه وتعالى؟ كل

هذا معروف في اللغة العربية.



فلا تقول: أفوض المعنى، وعلى هذا السلف رضي الله عنهم،
وقد سئل أبو العالية الرياحي عن الاستواء؛ فقال: (العلو والارتفاع)، وهو من أئمة السلف؛ من
التابعين، أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ، هذه طريقتهم،
إذاً ما كانوا يفوضون المعنى؛ إنما يفوضون الكيف، كما قال الإمام مالك تماماً: (الاستواء
معلوم)؛ أين تفويض المعنى إذا؟

فهذه طائفة من أهل البدع، يفوضون المعنى، وتسمى: المفوضة، وهي فرقة من فرق الأشاعرة،
والأشاعرة قسمان:

- أشاعرة مفوضة

- وأشاعرة محرّفة؛ يسمونهم مؤولة،

وكلمهم يريدون أن يتخلصوا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه؛ لكنهم اختلفوا في الطريقة،
فالمفوض يقول لك: نحن نجهل، لا ندري، ونسبوا هذا المعنى للسلف؛ لذلك عندهم السلف
جهال ما يفهمون؛ لذلك من قواعدهم أنهم يقولون: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف
أعلم وأحكم، ولم يعطوا السلف قدرهم الذي يستحقونه في العلم والمكانة، السلف عندما
سكتوا عن أشياء؛ سكتوا بعلم، والخلف عندما تكلموا فيما تكلموا؛ فإنما تكلموا بسبب
الجهل، مسائل كثيرة يسكت عنها العالم، والجاهل يتكلم فيها، ليس معنى أنه تكلم أنه عالم؛
أحياناً يكون العكس؛ لذلك ينسبون هذا المنهج- الذي هو منهج الجهل، عقيدة الجهل-
ينسبونها إلى السلف، وينسبون العلم إلى أنفسهم؛ وإنما بسبب جهلهم وقعوا في هذا.
إذاً الأشاعرة قسمان: مفوضة ومحرّفة، فعندما تسمع عن بعض السلف كلمة: "من غير
تفويض"؛ فلا يعني تفويض المعنى؛ وإنما تفويض الكيف، وفرق بين هذا وهذا.

(والرضى) أي: الرضى بما جاء عن الله سبحانه وتعالى.

قال: (ولا تفسّر شيئاً من هذه بهواك)

هذا المعنى الذي ذكره موضحاً هنا؛ تجده في بعض المواطن الأخرى غير موضح؛ فيستدل بها
المفوضة؛ يقولون: انظر كيف هو مذهب السلف؟ يأتون لقول الإمام أحمد وغيره حين يقول:
(نثبت الصفات من غير تفسير، من غير معنى)؛ فيقولون: انظر هذا هو منهج السلف: (يقولون من

غير تفسير، ومن غير معنى)؛ هذا من جهلهم.

لكن ما المقصود هنا؟

مقصود السلف عندما يقولون: (نثبت الصفة من غير معنى) أو (من غير تفسير): أي: من غير معنى الذي تذهب إليه الجهمية، ومن غير تفسير كتفسير الجهمية الذين يفسرون بالهوى؛ لذلك بيّن هنا وقال: **(ولا تفسر شيئاً من هذا بهواك)** على مزاجك، كيفما يخطر على بالك، وكما تحب أنت وتهوى؛ لا؛ بل التفسير يكون على ما جاء به السلف رضي الله عنهم، على حسب المقتضيات العربية، لا يخرجون عن ذلك، أما أن تأتي لليد؛ فتقول: بمعنى القوة، والإرادة: النعمة، والمحبة: بمعنى إرادة الإنعام، والرضا: بمعنى إرادة الأنعام، وما شابه؛ هذا كله باطل، هذا تفسير بالهوى.

قال: **(ولا تفسر شيئاً من هذه بهواك؛ فإن الإيمان بهذا واجب)**

واجب عليك أن تؤمن بصفات الله كما جاءت.

قال: **(فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه، وردّه؛ فهو جهمي)**.

وقد عرفت معنى جهمي، يعني: من أتباع جهم بن صفوان، والجهم بن صفوان هذا أحد رؤوس الضلال الذين حرفوا الصفات، ولم يثبتوا معانيها، فنفوا عن الله تبارك وتعالى الأسماء والصفات، وهو أول من أظهر القول بخلق القرآن- أن القرآن مخلوق-، وقال بنفي الأسماء والصفات، وقال إن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب؛ هذه من ضلالاته وضلالته كثيرة. والسلف كانوا يطلقون الجهمية على كل من حرف الصفات، فتارة تجدهم يعممون فيقولون: الجهمية ويدخلون في ذلك كل من حرف الصفات، وتارة يفصلون ويفرقون بين الجهمي والمعتزلي والأشعري؛ لأنهم على درجات؛ منهم من ينفي أسماء الله وصفاته كلها فلا يثبت لله اسماً ولا صفة؛ وهؤلاء هم الذين يسمون بالجهمية، قد كفرهم علماء السلف؛ لأن مقتضى قولهم: أنه لا يوجد إله؛ فلا أسماء ولا صفات؛ إذاً لا شيء، ومنهم من يثبت الأسماء ولا يثبت الصفات؛ وهؤلاء المعتزلة، وأيضاً كفرهم جمعٌ من علماء الإسلام،

ومنه من يثبت الأسماء وبعض الصفات؛ وهم الأشاعرة،
وهناك فرق أخرى؛ لكن هذه أشهر الفرق؛ الذين خلطوا في أسماء الله وصفاته وجحدوها
وحرفوها عن معانيها الصحيحة.

قال المؤلف رحمه الله: ([43] وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا؛ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)
لأن العلماء مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في الدنيا؛ إنما يرى في الآخرة، أما في
الدنيا؛ فلا،

فإذا كان موسى عليه السلام وهو من أفضل خلق الله تبارك وتعالى قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ
قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...﴾⁽¹⁾

إلى آخر الآية، فهذا موسى قد مُنِعَ من الرؤية، وقال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا، وعلى ذلك
أجمع العلماء: أنه لا أحد يمكنه أن يرى ربه في الدنيا، واختلفوا في النبي ﷺ أراه ربه عندما
أسري به أم لا؟
هذه المسألة محل خلاف، فهو الوحيد الذي اختلفوا فيه؛ والصحيح: أنه لم يره بعينه.

قال المؤلف: ([44] وَالْفِكْرَةُ فِي اللَّهِ بِدْعَةٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا
فِي اللَّهِ"؛ فَإِنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ).

يعني التفكير في ذات الله والتفكر في كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله هذا محظور ممنوع؛
لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁽²⁾،

فلا يجوز لأحد أن يتفكر في ذات الله؛ فالشيطان يتدرج بالعبد إلى أن يوصله إلى المحذور، حتى
إن النبي ﷺ عندما ذكر له بأن أحدهم يبقى يتدرج به الشيطان حتى يقول: هذا الله خلق كل
شيء من خلق الله سبحانه وتعالى؟ أو كيف وجد الله سبحانه وتعالى؟ أو بهذا المعنى؛

¹ - [الأعراف: 143]

² - [طه: 110]

قال النبي ﷺ: "وَلْيَنْتَه" ⁽¹⁾، يعرض عن هذا التفكير الذي يطرأ على ذهنه، ولا يسترسل في هذه الأمور، ولا يتفكر فيها؛ إنما يكون التفكير في المخلوقات، يتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى، تتأمل فيها؛ يزيد إيمانك ويعظم؛ هذا الذي أمرنا بالتفكير فيه.

وأما حديث: "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله" ⁽²⁾؛ فلا يصح، وطرقه لا تقويه عندي، وربما يصح موقوفاً. والله أعلم

نكتفي بهذا القدر لهذا اليوم.



¹ - أخرجه البخاري (3276)، ومسلم (134)، ولنظفه: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته".

² - قال السخاوي في المقاصد الحسنة (324) بعد أن ذكر طرقاً للحديث: وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله. انتهى، وخرجه وصححه الألباني في الصحيحة (1788).